وظيفة التأويل في رحلة العلاقات الدلالية من النسق المعجمي إلى النسق النصي

د/ بشار إبراهيم
جامعة محمد خيضر -بسكرة-

الملخـص

يتصل الانسجام بعالم الخطاب، ويعمل المتلقي على استظهاره بوساطة عدّة عمليات؛ ترتبط بالمستوى الدّلاليّ ابتداء، ثم يستثمر ما يمكن أن تقدمه تصوّراتنا عن العالم، وسيرورة الأشياء فيه من علاقات تلازمية بين الأحداث والوقائع تيّسر إدراك انسجام المعطى اللّغوي.

ولمّا كانت الوظيفة المنوطة بالانسجام صعبة إلى حدّ بعيد؛ لأنّها مرتبطة أساسا بالبحث عن الدّلالة والمعنى، وما يخفيانه من معلومات غير قطعية وحقائق مجردة، جعلت الدّرس اللّساني يعزف عنها، إن بالإهمال أو بالإبعاد، ونظرا لتشابك المستويات الباطنية في الخطاب وتعدّدها فإنّنا سنرصد حركة الدّلالة من الوضع المعجمي الاجتماعي، إلى الدّلالة السّياقية بشقّيها اللغوي والمقامي إلى حيث يمضي بنا وصف عالم الخطاب الشعري المشدود إلى التخييل ولغته المتعالية عن النمطية. وقد كانت المدونة المشتغل عليها قصيدة لمحمود درويش بعنوان "عاشق من فلسطين".

يتطلب الانسجام من الإجراءات ما تتنشّط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهوميّ واسترجاعه، ويتدعّم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النصّ مع المعرفة السابقة بالعالم.1

ولعلّ هذه الميزة التي تقيم علاقة بين الملفوظ والواقع هي ما جعل محمد مفتاح يميّز الخطاب عن النّص، يقول: «إن النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة، وإن الخطاب عبارة عن وحدات لغوية منضدة متسقة **منسجمة**». 2

ذهب فريق من الباحثين أمثال كرايمز (Crymes) إلى عدّ النّص/الخطاب نسقا من التّوافقيّة لسمات مختلفة **من الوحدات المعجمية**، التّي تتعالق ببعض العلاقات مثل الترادف والتّضاد والعموم والخصوص3، وغيرها ممّا يفرزه البناء المعجمي للنّص.

ثمّ أخذت الدّراسات الدّلالية للنّص تتّجه نحو كيفيّة إنتاجه، في محاولة لاستثمار قواعد الدّلالة التّوليديّة وتطبيقها على نصوص بكاملها، لكنّ طبيعة النصّ من حيث كونه نظاما واقعيا ذا طبيعة اتّصالية، جعلت هذه المحاولات الإسقاطية تفشل في صياغة قواعد مثالية مجرّدة، تمكّننا من التّمييز بين ما يعد نصّا وما لا يعد. كذلك أدّى هاجس القواعد العالمية للنّصوص، وإبعاد طرفي التواصل في التّحليل إلى عجز في شرح المستوى التّداولي في النّصّ.4 لأجل هذا لن نقف طويلا عند البنى الدلالية العميقة إلاّ أثناء التأويل النّسبي للرّموز.

وقد دفعت وحدة الخطاب الدّلالية وبؤرته الرّئيسة بعض اللّسانيين إلى التركيز على **موضوع النص أو الخطاب**؛ ذلك أنّ الموضوع-كما تذهب أكريكولا(Agricola)- هو « الفكرة الأساسية أو الرّئيسية في النّصّ التي تتضمّن معلومة المحتوى الهامة المُحَدِدَة للبناء في كامل النص بشكل مركّز ومجرّد».5 ممّا يجعل البحث في موضوع النص/الخطاب آلية عملية لمعرفة كيفية إنتاج الخطاب وتلقيه ثم فهمه من لدن المتلقي.

وفَهم الخطاب ليس أمرا هيّنا، تكفي البحوث اللّغويّة للسيطرة عليه، بل هو عمليّة معقّدة تستوجب على المحلّل الاستعانة بمبادئ تتّصل **بالمعرفة الخلفية**، حتّى يتمكّن من «وصف كيفية تنظيم المعلومات عن العالم في ذّاكرة الإنسان، وكذلك كيفية تنشيطها في عمليّة فهم الخطاب» 6، وهذا يستوجب وضع النصّ في مقامه بغية الإحاطة بملابسات التواصل، التي تتدخّل بجانب كبير في صياغة النصّ.

والمقام ليس بالضرورة أن يكون وليد اللّحظة المتزامنة مع إنتاج النصّ، بل هو حصيلة تفاعل خلفيات وخبرات تنعكس على سطح الخطاب7، من هنا كان التّناص وسيلة أخرى من وسائل الانسجام.

وضبطا للمقدّمات السابقة التي تؤسس للانسجام بمعناه الواسع سنكتفي بالحديث عن العلاقات الدّلالية بوصفها آلية قديمة جديدة رافقت النظر اللساني في رحلته من النظام المعجمي الاجتماعي الافتراضي الكامن إلى المنجز النصي الفردي الواقعي المتحقق. ولن نتردّد في الإشارة إلى بعض الجذور العربية ضمن هذا المقترح الغربي.

العلاقات الدلالية:

إذن يحدث أن تتجاور وحدات معجمية في بعض النصوص دون علاقات شكلية تربط بينها، ففي هذه الحالة يُنظر - عادة- إلى ما يمكن أن يجمع بين هذه الوحدات في مستوى آخر غير ظاهر النصّ؛ و«العلاقات التي تجمع أطراف النصّ أو تربط بين متوالياته (أو بعضها) دون بدوّ وسائل شكلية، تعتمد في ذلك- عادة- على أنّها علاقات دلالية مثل علاقات العموم /الخصوص، السّبب/المسبّب»8، الكلّ/الجزء، التّضادّ، التّرادف، وغيرها ممّا يقع بين المفردات والتراكيب من صلات تمسّ مبدئيا المعنى المعجميّ.

-1.الترادف:

يدلّ الترادف على اتفاق لفظين أو دالين فأكثر في المعنى واختلافهما في المبنى، وإذا ما تجاوزنا الخلاف القائم في مسألة وجود الترادف أو عدمه في اللّغة، وسلّمنا بوجوده، فإنّ خطاب **"عاشق من فلسطين"** قد حوى عددا من الألفاظ المترادفة، التي أسبغت على الخطاب تلوينا، وعلى الأسلوب تنويعا، كما هو الحال في الألفاظ الدّالّة على المأساة. فالحسّ المأساويّ في الخطاب المعني جسّدته مجموعة من الألفاظ المترادفة أو شبه المترادفة نحو (الشقاء، الحزن، البؤس، الهمّ)، المتناثرة في الأسطر(57،17،12، 98).

إنّ هذه الألفاظ فضحت سوداوية يعيشها العاشق، وتأبى إلاّ أن تَبْرُزَ بين الفينة والأخرى على الخطاب، فيستقبلها المتلقّي بذاكرة رابطة تستجمع ما تفرّق من ألفاظ مترادفة، ومن شأن هذا الربط أن توازيه تراكمية دلالية، تمارس ضغطا على شعور العاشق عبر عدّة مظاهر؛ منها (الشقاء) الذي ينغّص حياة العاشق، وتضاعف (الحزن) نتيجة إخفاقات

الأمس. وليست محبوبة العاشق بمعزل عن هذه الفجيعة؛ فقد جعلها الشاعر لأغاني اليتم و(البؤس) ملازمة، ولمكابدة الواقع الفلسطينيّ أنموذجا، حتّى أضحت مقاسمة للفلسطينيين غَدَهم بِمُلحه وأملاحه، بأحلامه و(همومه)، فاتّحد-بذلك- العاشق والمحبوبة مأسويا عبر جسر الخطاب. وبعبارة أخرى أفرزت النّسقيّة الدّلالية التي بتخذّ المترادفات في بعض الحالات أشكالا مختلفة من البنيات اللّغويّة؛ كأن تأتي مفردة أو جملة، اسما أو فعلا، صريحة أو ضمنية، وتبقى رغم اختلافها ورغم تباين بنياتها الصوتية والمعجمية محافظة على قسط مشترك من المعنى.

ومثال هذا النّوع من الترادف دلالة السفر، التّي تضمّنتها البنيات الآتية:

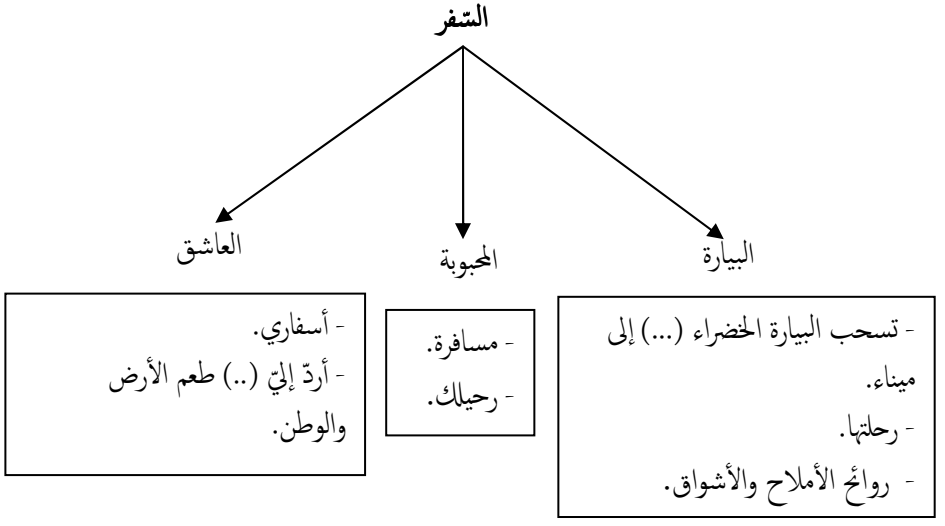

لم يكن اهتمام الشاعر بالسّفر اعتباطيا أو عاديا، وبخاصة أنّ الأمر يتعلّق بخطاب شعريّ؛ يتشكّل بالقصدية ويتوق إلى الاختزال. فالدّلالات تتوارد بكثرة في عقل الشاعر ومخيّلته، وإذا ما ظفرت إحداها بموقع لها في الخطاب فلأنّ الشاعر قد أراد ذلك وعمد إليه.

وعليه فورود دلالة معيّنة أكثر من مرّة يعني أنها تثير قلقا واستفزازية لدى المتكلّم، وانطلاقا من الحضور الخاص لدلالة السفر في الخطاب، واستئناسا بمعرفتنا عن سياسة التهجير والترحيل التي تمارسها السلطة الصهيونية على أبناء الأرض المحتلّة، يصير بِدهيّا اهتمام الشاعر بتكرار دلالة السفر.

-2.التّضادّ:

تُحدّد قيمة الشيء بمعارضته لغيره، إذ لا يمكن إدراك معنى السّعادة دون استحضار معنى الشّقاء، كما لا يمكن للشخص أن يستشعر علقم الإحباط دون أن يجرّب حقيقة التفاؤل، وفي هذا الاستحضار والمقارنة تضمين لدور الانسجام الذي ينجم عن تقاطب المتضادات.

وقد ذهب الزّركشي- إلى أنّ من أوجه ارتباط الآي بعضها ببعض أن تكون بينها علاقة مضادّة، تجمع بينها حتّى وإن غابت أداة العطف.9

إنّ الخطاب الشّعريّ المعاصر لم يعد يقبل المباشرة والتتابع المنطقيّ والمحاكاة الجافّة للأحداث، بل صار مرآة للضبابية وعدم المنطقية وبناء جديد للوقائع؛ لذا تعمّد الشعراء تقريب المتباعد، والتّأليف بين المتنافر، وجمع المتضادّ في قالب لغويّ خاصّ يسمح به نوع خاصّ من النّصوص، إنّه النّص أو الخطاب الشعريّ.

فقد مثّل خطاب "**عاشق من فلسطين**" نموذجا لتناسق دلالات متضادّة، ومحورا لجمع أحداث متناقضة جسّدت صراع اليأس والأمل، تصادم الضعف والقوّة، جدال الواقع والحلم، وغير ذلك من الثنائيات الضدّية التي انبثقت منها خصوصية هذا الخطاب، ويمكن التّمثيل للتّضادّ بهذه الثنائيات:

مصـدر أمــل والهام(مطلوب)	⇨الضوء ≠ الليل ⇦ ⇩ صراع ⇩	مصـــــــدر أوجـــــاع وهموم(مرفوض)
عنوان الخصب والنّموّ(التّفاؤل)	⇨ الربيع ≠ الخريف⇦ ⇩ تحوّل ⇧	عنــوان التّغــيّر السّــلبي (التّشاؤم)
رمـــز الـــنّماء والعطاء	⇨ الاخضرار ≠ الملح⇦ ⇩ تحدّي ⇩	رمز الجدب والعراقيل
دليـــل الرغبـــة في الشيء	⇨ الحبّ ≠ الكره⇦ ⇧ تقابل ⇧	دليل الرغبة عن الشيء

هدوء، أنس، عروبة	الماء ≠ النار ⇩ تكامل ⇩ النار ≠ الكهف ⇩ تكامل ⇩ الرمل ≠ البحر ⇩ تكامل ⇩	ثورة، هروب/خوف، تمدن
تعبير عن فرح	⇨ أغنية ≠ مرثية ⇦ ⇧ تقابل ⇧	تعبير عن حزن
أمــــل، قـــوة، أصالة المنبت	الأحلام ≠ الهم ⇩ تكامل ⇩ الكلام ≠ الصمت ⇩ تكامل ⇩ الميلاد ≠ الموت ⇩ تكامل ⇩ (ديمومة)	خـوف مـن المسـتقبل، قوة باطنية، أصالة المصير

توزّعت الألفاظ المتضادّة وشبه المتضادّة السابقة على مساحة واسعة من الخطاب، وتباينت المسافة التي تفصل بين اللّفظ وضدّه كما أنّ غاية الشاعر من توظيف هذه الألفاظ تنوّعت بحسب مقتضيات السّياق ومقصدية المرسل الشاعر من جمع المتضادات والمتناقضات في خطابه:

اللّيل، الضّوء: وجد لفظ (اللّيل)في الأسطر(4، 67، 68، 69، 70)، أمّا لفظ الضّوء ومرادفه النّور فوجدا في الأسطر(5، 71، 87). وظّف الشاعر رمز اللّيل بناء على دلالاته (الظلمة، السّكون، النّوم...)، ومعانيه (الهموم، الأوجاع، الوحشة...)، وفي كلتا الحالتين يرفض العاشق اللّيل ويطرده، ويتّضح ذلك من خلال غمده لعيون المحبوبة حتّى لا تتأذّى من الليل وأوجاعه، لينشقّ من جرح هذه العيون ضوء فيه دلالة طرد الظلام ومعنى الأمل.

كما أسند الشاعر إلى الضوء (النّور) معنى الإلهام الشّعريّ والمساعد على ترجمة العاشق لأحاسيسه بالكلمات، ويبقى اللّيل مرفوضا لدى العاشق مطرودا حتّى يحل محلّه الضوء. وفي خضمّ هذا الصراع بين الظلمة والنّور انبثق انسجام الخطاب وتوحّده؛ من خلال استدعاء المتضادّات لبعضها بعض، وتعاضدها في إبراز مقصدية الشاعر.

الصّمت، الكلام: اكتسب الصّمت دلالة سياقية، هي الكبت والحزن اللّذان منعا العاشق من قدرة العزف على الجيتار، مثلما هو الحال في السّطر(24)، حيث يبدو العاشق متسائلا عن سبب أصداء الجيتار أهو رحيل المحبوبة أم صمت العاشق؟

وقد يكون الصّمت رمزا للقناعة الذّاتية والشّعور الباطنيّ للمواطن الفلسطينيّ تجاه وطنه، في مقابل ما يمكن أن يفصح عنه المواطن من وطنيّة بكلامه، وهنا يتكامل المتضادان لمعنى واحد هو الحب الباطني والظاهري للوطن.

3.الإجمال- التّفصيل:

تترابط مقاطع الخطاب وأجزاؤه بعلاقة الإجمال-التّفصيل عندما يريد المتكلّم التركيز على معنى معين، أو لحاجته إلى المعنى مجملا ومفصّلا.«فمن القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها على أن يضمّنها معاني جزئية لكون مفهوماتها شخصية، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المتضمّنة إيّاها مؤتلفة بين الجزئية والكليّة، وهذا هو المذهب الذي يجب اعتماده لحسن موقع الكلام به من النّفس. وأحسن ما يكون عليه هيئة الكلام في ذلك، أن

تصدر الفصول بالمعاني الجزئية، وتردف بالمعاني الكليّة على جهة تمثّل بأمر عام على أمر خاصّ، أو استدلال الشيء بما هو أعلم منه أو نحو ذلك»10 من دواعي تقديم المفصّل أو تأخيره، على أنّ التّفصيل قد يتعدّى السّطرين إلى عدّة أسطر، كما قد يتصّل بالمجمل وقد ينفصل عنه بأن ينتشر في مواضع متباعدة.

ومثال علاقة الإجمال-التّفصيل قول الشاعر:11

خُذيني تحت عينيكِ	← إجمال
خذيني لوحة زيتيَّةً في كوخ حسراتِ	↓ تفصيل
خذيني آيةً من سفر مأساتي	
خذيني لعبة... حجراً من البيت	

أورد الشاعر تعبيرا مجملا، يطلب فيه العاشق من حبيبته أن تأخذه تحت عينيها وكفى، ثمّ راح يفصّل تعبير(تحت عينيك) بأن تأخذه لوحة زيتية، أو آية، أو لعبة، أو حجرا، وغيره ذلك من الصور التي يمكن أن تفصّل معنى الأخذ تحت عيني الحبيبة. ولم تكن غاية التفصيل التوضيح أو مجرّد الشّرح، بقدر ما ضمّنها الشاعر أبعادا تجلّت في إيراد الجزئيات؛ فالشعور بالوحدة والنّفي الذّي يدلّ عليه إلحاح العاشق على الذّهاب مع محبوبته لم يعكسه السّطر الأوّل، بل ترجمته الألفاظ والتعابير التفصيلية في الأسطر اللاحقة، وعلى هذا الأساس يمكن أن يتحدّد هدف الشاعر أو فكرته في تعبير تفصيلي أكثر من انبثاقه من تعبير مجمل:

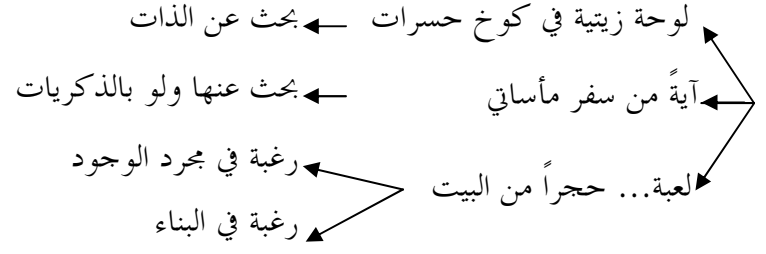

وبناء على ما سبق تتبيّن حاجة المجمل إلى ربطه بتفصيلاته، فيتحقّق بذلك الانسجام بين التعابير المجملة والمفصّلة في وصلة دلالية، تبرز معنى جديدا لا يفهم من المجمل بمفرده، ولا يرتكز على المفصّل وحده.

وإذا كان المثال السابق قد جسّد تقدّم المعنى الإجمالي عن المعاني التفصيلية، فإنّ أمثلة أخرى قلبت الترتيب السابق؛ فتقدّم فيها التفصيل عن الإجمال والجزئيات عن الكلّيات، ومثاله الأسطر الآتية:12

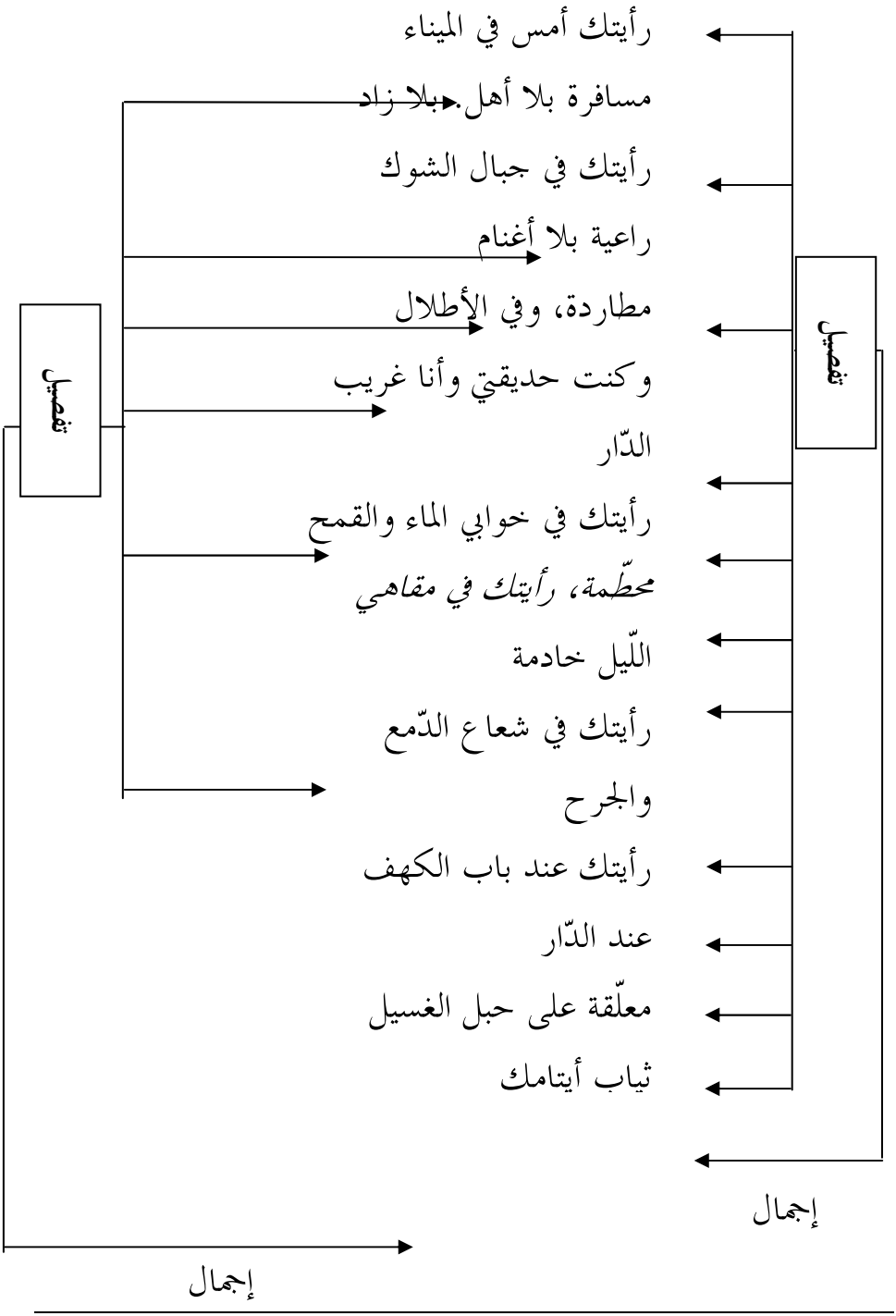
رأيتك أمس في الميناء
مسافرة بلا أهل بلا زاد
رأيتك في جبال الشوك
راعية بلا أغنام
مطاردة، وفي الأطلال
وكنت حديقتي وأنا غريب
الدّار
رأيتك في خوابي الماء والقمح
محطّمة، *رأيتك في مقاهي*
اللّيل خادمة
رأيتك في شعاع الدّمع
والجرح
رأيتك عند باب الكهف
عند الدّار
معلّقة على حبل الغسيل
ثياب أيتامك
تفصيل
تفصيل
إجمال
إجمال

شغلت ثنائية الإجمال والتفصيل حيّزا واسعا من الخطاب، يظهر ذلك في الحمولة الثقيلة المثبتة في تعبير (أينما كنت)، الذي يعد إجمالا لكلّ الأماكن الواقعية والمتخيّلة التي وجدت فيها محبوبة العاشق. إنّ التّفاصيل السّابقة تشخّص فضاءات مأساوية عاشت فيها المحبوبة، وهي فضاءات لا تقترن بدلالاتها المعجمية؛ بل تنبعث منها ضغوطات نفسية وينجرّ وراءها مآس اجتماعية. ولعلّ الأماكن المتخيّلة (في شعاع الدمع والجرح، في دم الشمس، في أغاني اليتم والبؤس) خير دليل على ذلك، ويعضد هذا الدّليل الصور والحالات التي ارتسمت فيها محبوبة العاشق واتّسمت؛ إنّها تمثّل أحداثا ووقائع حقيقية يمكن أن يعيشها أو يكابدها المواطن الفلسطيني بفئاته المختلفة وأوضاعه المتشابهة، وليس بالضرورة أن تجتمع فيه كلّها. من هنا تتأكّد أهميّة ذكر الجزئيات من خلال ذكر جلّ ما يمكن أن يتعرّض له المواطن الفلسطيني، على أنّ العاشق رغم كلّ ذلك يظلّ وفيا لمحبوبته أو قضيّته، دائم الإلحاح على احتضانها والذّود عنها؛ وليس أدلّ على ذلك من تعبير (خذيني كيفما كنت)، الذّي أجمل كلّ الحالات السّابقة، فنجم عنه انسجام قويّ في جزء كبير من الخطاب.

-4. العموم-الخصوص

يقصد بهذه العلاقة إيراد العام بعد الخاص أو العكس، لغرض في السياق يفيد فيه الجزئي مزيد مزية لا يفيدها الكليّ أو العام على إطلاقه13، كأن يتضمّن الخاص دلالة أو قصدا لا يكفي العام لإيضاحه أو تجنّبا للتّعميم أو رغبة في التّأكيد عن طريق الإطناب.

فمن المعاني التي وردت عامّة ثمّ خصّصها الشاعر قوله:14

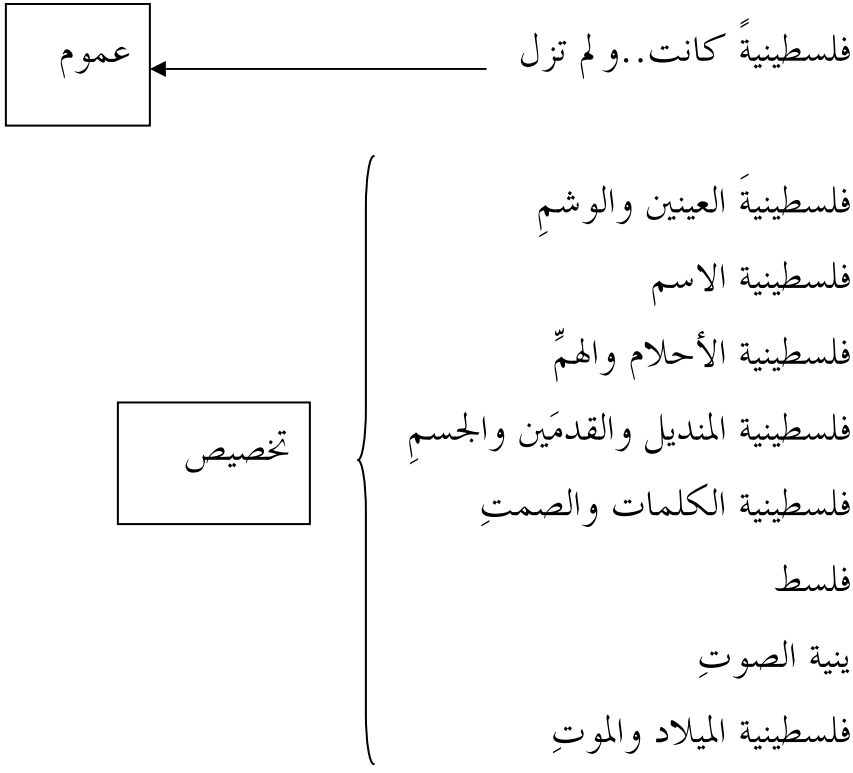

جاء السّطر الأوّل من هذا المثال مقرّا لفلسطينية المحبوبة على الإطلاق (كانت..ولم تزل) في إشارة إلى ديمومة صفة الفلسطينية لدى المحبوبة، بيد أنّ العاشق لم يكتف بذلك بل راح يخصّص هذا المعنى العام بمعان جزئية، من خلال إبراز مواطن تجلّي تلك الصّفة في المحبوبة؛ بادئا بالعينين والوشم الدّالّين على جمالها، وتعلّقها بتقاليدها وماضيها، ثمّ عرّج على الاسم مبيّنا أنّه سمة من سمات فلسطينية المحبوبة، وهنا يُخَيّل إلينا أنّه يتحدّث عن معشوقة اسمها (فلسطين) في إشارة سريعة إلى الموضوع الواقعيّ للخطاب، وبخاصّة أنّ الشاعر قد أعقب كلامه بالحديث عن آمال وآلام الأرض المحتلّة، وجعل هذه الآمال والآلام بمثابة دليل على الانتساب إلى وطنه؛ إذ إنّ محبوبة العاشق هي - أيضا- فلسطينية في (الأحلام والهمّ).

وبعد هذا كلّه يأخذ التّخصيص صورة أكثر دقّة عندما يتعرّض العاشق إلى (المنديل والقدمين والجسم) بوصفها معالم تثبت الكيان الفلسطينيّ للمحبوبة، كيان يُكتشف في كلامها ونبرته، وسكوتها ودلالته (فلسطينية الكلمات والصّمت والصّوت). ثمّ يأخذ الخطاب مجراه

نحو العموميّة نسبيا؛ من خلال توسيع نطاق الانتساب ليمتدّ مع جذور النّشأة ويستمرّ معها حتّى نهاية الحبيبة (الميلاد والموت)، وبين هذا وذاك تشترك المحبوبة والأرض في التّاريخ والمصير.

وهكذا يتراوح الخطاب بين التّعميم والتّخصيص إلى أنّ يشكّل تراكمية دلالية قوامها العموم والخصوص، تتولّد منها طاقة تصويرية في الخطاب، تتساند فيها المعاني الكلّية والجزئية، فيتحقّق بذلك انسجام مقاطع الخطاب.

خلاصة:

لم يكن الخطاب إذا مجرّد بنية كبرى يتحقّق فيها التّرابط الرّصفي عن طريق قواعد شكلية تمسّ ظاهر الخطاب؛ إذْ إنّ البحث في الطبيعة الدّلالية للألفاظ والجمل أظهر بعض العلاقات التّي تتمّ في الجانب الباطني من الخطاب، ولا تكتسب وظيفتها إلاّ بنظرة شمولية له.

- تميّز الدّلالة على مستوى الخطاب بتجاوزها النّسبي لسلطة النّظام (الوجود القبلي، المعجم، الطبيعة الاجتماعية، المنطقية...)؛ حيث تطلّب الوقوف على الدّلالة محاورات جادّة ومثمرة بين المحورين النّظمي والاستبدالي من جهة، وبين الدّلالتين المعجمية والسّياقية من جهة أخرى، وفضلا عن هذا وذاك لم تتخلّ دلالة الخطاب عن مستعمله سواء أكان مرسلا أم متلقيّا وبخاصّة في الخطاب الشعريّ، ويتبيّن ذلك في تأويل بعض الرّموز والصّور أثناء استبطان العلاقات الدّلالية، هذا التّأويل الذي يتزعّمه المتلقيّ يستعين فيه بمرجعية المرسِل وقصديته، والمعرفة بالعالم وتجلّياتها وغير ذلك ممّا يجعل العلاقات الدّلالية في الخطاب الشعريّ، لا تنفصم عن شروطه الاتّصالية ومقتضياته السّياقية.

فالخطاب الشعري-"عاشق من فلسطين"- مثّل أنموذجا حيّا لتفاعل الوحدات الدّلالية في الخطاب، عن طريق تعاضد الدّلالات المتماثلة لإبراز معنى مهمّ أو فكرة رئيسة، وغير ذلك ممّا يستنتج من النّظرة الكليّة للمترادفات، ثمّ إنّ التّضاد الذي يوهم بالتباعد والتنافر بين الأحداث والوقائع في ظاهره، هو في الحقيقة آلية أخرى لاستدعاء الدّلالات لبعضها بعضا، في الذهن عن طريق التّذكّر، وفي الخطاب بوساطة الملاحظة. وبهذا يشكّل الترادف والتّضاد عمليتين دلاليتين، تنطلقان من وحدات معجمية صغرى وتنتهيان عند معان شمولية وأفكار أكثر عمقا، تجسّد توافق رؤى وتصادم أُخَر.

أمّا عن علاقتي الإجمال-التّفصيل والعموم-الخصوص، فيبدو أنّهما متعلّقان أصلا ببنيات فوق جملية، لذا لم يكن غريبا امتداد العلاقات التفصيلية لأكثر من عشرة أسطر، وتجاوز المعلومات التخصيصية لبضعة أسطر من الخطاب، وأكثر من ذلك ينتبه المتفحّص لحركية العلاقات الدّلالية، وتفاعلها عن طريق التوافق أو التّقابل أو التّفصيل أو التّخصيص إلى دورها في فهم الخطاب وتناميه الدّلالي.

وإذا ما وجّهنا النّظر قليلا إلى كيفية تعامل اللّغة الشّعرية مع هذه العلاقات، وجدنا هدما شبه تام للعلاقة الواقعية بين العلامة اللّسانية والمرجع؛ فالشاعر صنع للألفاظ مراجع وذوات منبثقة من خطابه، ومتضمنة إشارات تتجاوز في أحيان كثيرة قيود المعجم لتصنع دلالات إبداعية ونسقية جديدة يسهم فيها المتلقّي بتأويله.

الهوامش والمراجع

1- ينظر دوبوكراند، النصّ والخطاب والإجراء، ، ترجمة تمام حسان، دار الكتب، القاهرة-مصر، ط1، 1418هـ-1998م،ص113. ينظر فان دايك، النصّ والسّياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق – المغرب،(دط)، 2000ص144.

2- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف- نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، بيروت-لبنان، ط1، 1996، ص35

3- ينظر ديتر وفيهيجر، مدخل إلى علم اللغة النصّي، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض- المملكة العربية السعودية، (دط)، 1419هـ- 1998م، ص40،39.

4- ينظر المرجع نفسه، ص44، 45.

5- ينظر المرجع نفسه، ص50.

6- جان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض – السعودية، (دط)، (دت) ص285.

7- Jean-Michel Adam, linguistique textuelle des genres de discours au textes, Nathan Université, Paris, 1999 . p125,126

8- محمد خطابي، لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب، ، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط1، 1991ص269،268.

9- ينظر بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، (دط)، (دت)،1/49،40 .

10- حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 1981 ص295 .

11- محمود درويش،الدّيوان، دار الحرية-بغداد، ط2، 2000م ص43.

12- المصدر نفسه، ص41، 42، 43.

13- ينظر السّجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق، علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1408هـ-1998م ص330-332.

14- الدّيوان، ص43- 44.